عبد الحليم البرجيني

عودة الطائر إلى عشه

فى عام ١٩٣٠ ولد عبد الحليم البرجيني، بقرية "البرجاية" أو "البرجين" نسبة إلى برجين كبيرين كانا على مدخل القرية، بمحافظة المنيا، وأمام منزلهم العائلي، كانت تمر بحيرة صغيرة بها ماء عذب، ومليئة بالأسماك الفضية التى كانت تجذب نظره بلونها الجميل، وهى تتلألأ تحت أشعة الشمس الذهبية، وهى خارجة فى شباك الصيادين أو فى سنانير الصغار.

كانت طفولة غنية ورائعة، وهو يرى كل يوم "الأوز" وهو يستحم فى هذه البحيرة، ويظل بها طوال اليوم، ولا يعود إلى المنازل إلا فى المساء، ومناظر الفلاحين وهم ذاهبون وعائدون من وإلى الحقول، والمساحات الخضراء الشاسعة التى كان يراها حينما يُطل من شرفة منزله الريفي، كل هذه المشاهدات اختمرت بداخله، فبدأ يشخبط ببراءة وتلقائية على جدران المنزل، وخوفا من والده على نظافة المنزل، اشترى له "سبورة" وبمرور الوقت، تكونت لدى الطفل "عبد الحليم" ذاكرة بصرية مزدحمة بكل ما شاهده من

ملامح ووجوه، وأصبح بعد فترة وجيزة قادراً على استقراء الظلال على الوجوه، والأشجار، والأبواب والطرقات، وصبها رسوماً على الورق.

وفى سن الحادية عشرة، فقد الطفل والده الذى كان يعمل مدرساً للبلاغة بكلية اللغة العربية، فاضطر أن يبحث عن عمل يساعده على إتمام دراسته، فعمل مصححاً للغة فى دار أخبار اليوم، وفى السنة الأولى بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة، وقبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ بشهور، فاز "البرجيني" بالجائزة الأولى فى مسابقة "مختار" على الرغم من أن هذه المسابقة كانت مفتوحة لجميع الأعمار، واشترك فيها أساتذة فى الفن إلا أنه فاز بها، وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، فأعجب به على أمين ونقله إلى مجلة "الجيل الجديد" التى تصدر من مؤسسة "أخبا اليوم"، حيث أتاح له أن يكون كاتباً ورساماً، ثم تولى بعد ذلك مسئولية تحرير ركن "أخبار الفن" فى جريدة "الأخبار" إلى أن تخرج فى الكلية عام ١٩٥٥، متخصصاً فى "الجرافيك" وبعدها فاز بجائزة المجلس الأعلى للفنون والآداب فى عام ١٩٥٩.

وفى تلك الأثناء حفر "البرجيني" اسمه وسط الأسماء الكبيرة على الساحة الفنية، وأصبحت رسومه الصحفية تزين الجرائد والمجلات، كما ذيع صيته فى مجال رسوم الأطفال من خلال مجلة "سمير" ثم "كروان" بعد ذلك.

وفى عام ١٩٧٣ سافر "البرجيني" فى هدوء تاركاً القاهرة إلى دولة الإمارات العربية فى رحلة عمل طويلة، استغرقت خمسة وعشرين عاماً متواصلة، كان مشاركاً خلالها بالريشة والقلم فى مطبوعات القيادة العامة للقوات المسلحة فى أبو ظبي، حيث كان يعمل مشرفاً فنياً، وأهم ما قدمه هناك باب ثقافى سياسى بعنوان "معان وراء الكلمات" وبعض الرسوم الكاريكاتورية السياسية، كما كان يقدم يومياً رسماً كاريكاتوريا سياسياً فى جريدة "الوحدة" وفى عام ١٩٨٤، فاز بالجائزة العالمية الأولى فى إيطاليا عن الرسوم الصحفية، وعن تجربته فى رسوم الكاريكاتير فى دولة الإمارات يقول: "لا أذكر أننى تعرضت يوماً للاعتراض على فكرة ما من الأفكار التى تناولتها بالرسم على الرغم من حدة الأفكار والتعليقات التى كنت أتناولها، كانت تجربة ثرية أفادتنى كثيراً، وأرجو أن أنتهى قريباً من جمعها فى كتاب".

من طراز فريد

ولأن "البرجيني" رسام للأطفال من طراز فريد، فقد اشتهرت رسومه من خلال مجلة "سمير" وأسندت إليه فى البداية مسئولية الإعداد لمجلة أطفال تصدر عن دار التحرير، التى كان يعمل بها صحفياً، فجمع عدداً من الأصدقاء الرسامين، وخططوا لإصدار المجلة، وحدثت ظروف بعد على إثرها عن هذه المسئولية، لتصدر مجلة

"كـروان" ويـرأس تحريرهـا الكاتـب نعمـان عاشـور، ويرفـض "البرجيـني" بنبـل الفرسـان تـولى المسـئولية، واختـار أن يعمـل فيهـا رسـاماً بالقطعـة مـن أول عـدد يصـدر منهـا إلى أن أغلقـت بعـد سـنتين تقريبـاً مـن صدورهـا، ولمعـت رسـوم "البرجيـني" علـى صفحـات مجلـة "كـروان".

وعـن تجربـة رسـومه للأطفـال يقـول فـى أحـد الأحاديـث الصحفيـة التـى أجريتهـا معـه، كانـت مجلـة "سـمير" المصريـة هـى أول مجـلات الأطفـال التـى عملـت بهـا فـى عـام ١٩٦٣، وقـد تأثـرت كثـيراً بحماسـة "نتيلـة راشـد" رئيسـة التحريـر فـى ذلـك الوقـت، كمـا أن أول كتـاب للأطفـال رسمتـه كان مـن تأليـف كاتـب الأطفـال المعـروف "عبـد التـواب يوسـف" بعنـوان "خيـال الظـل" وقـد تقـرر هـذا الكتـاب بعـد ذلـك علـى المـدارس المصريـة الإعداديـة، ثـم توالـت رسـومى لكتـب عبـد التـواب يوسـف، وسمـير عبـد الباقـي، فـى "دار المعـارف" ثـم فـى مجلـة "كـروان" المصريـة التـى كانـت تصـدر عـن دار التحريـر، وفـى دولـة الإمـارات العربيـة شـاركت بالرسـم فـى العـدد الأول مـن مجلـة "ماجـد" الإماراتيـة للأطفـال، ثـم توقفـت لازدحـام وقتـى بالعمـل، غـير أنـى وبدعـوة كريمـة مـن أحمـد عمـر مديـر التحريـر، عـدت للرسـم وكتابـة القصـص فـى مجلـة "ماجـد، الإماراتيـة للأطفـال بعـد عودتـى للقاهـرة.

ويقول الأستاذ علاء الدين سعد أبو بكر – الأستاذ المساعد بقسم الجرافيك،كلية الفنون الجميلة بالقاهرة – عن "البرجيني" فى بحثه المقدم للجنة العلمية الدائمة للفنون الجميلة للحصول على درجة أستاذ جرافيك، تخصص "فن كتاب": "عبد الحليم البرجينى أحد الفنانين المصريين الكبار، وصاحب بصمة واضحة فى تطوير مجال فنون رسوم الكتاب والرسوم المتتابعة للقصة **strips** فى مصر خلال الستينيات والسبعينيات وأوائل الثمانينيات، تخرج فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام **١٩٥٥**م، وبدأ فى ممارسة الرسم الصحفى من خلل المجلات والجرائد المحلية بالأخص فى مؤسسة "دار الهلال" التى تصدر عنها مجلة "سمير" للأطفال والشباب والمتخصصة فى الرسوم المتتابعة للقصة فى عام **١٩٦٤**، وظل يرسم القصص الروائية المصورة ويعمل فى تصميم الأغلفة لدور النشر المختلفة، مثل: دار المعارف، ودار التحرير حتى عام **١٩٧٥**".

وعن أسلوبه يقول: "عبد الحليم البرجيني" من أبرع من صور ورسم مصر والإنسان المصرى والفلاح البسيط فى غيطانه الخصبة عبر تاريخه القديم والحديث، وسجل بريشته ثورة عرابى وكفاح مصطفى كامل، وسعد زغلول ضد المحتل ورسم الملاحم البطولية للشعب المصرى مثل ملحمة وبطولة قرية دنشواي، وغيرها الكثير.

وأسلوب "البرجيني" واقعى بسيط، وكأنه ممتزج بعبير وعطر، ونسيم الأرض المصرية العليل، وأبراج الحمام، والسماء الزرقاء الصافية والشمس الدافئة الساطعة، وكل هذه السمات عناصر واضحة فى أسلوب الفنان الرشيق التلقائي، البسيط والمعبر فى حيوية وقوة من خلال خطوطه الخارجية **Outlines** والتحكم فى سخاناتها، ثم من خلال البناء والتكوين المحكمين للقطات قصصية المرسومة وكذلك دراسة الضوء والظل واستخدام خطوط الدرجات الظلية **Tones** فى تجسيدها باختزال وبساطة سهلة ممتعة.

تميز أسلوب الفنان بمهارة عالية فى التعبير عن الرسم وتسجيل الحركة، خاصة فى الرسوم المتتابعة للقصة، كذلك الاهتمام بدراسة المنظر الخلوى **Landscape** بدقة وبأسلوب ومذاق مصرى جذاب كخلفية فى لقطات القصص، والمنظر عند الفنان "البرجيني" ذو مذاق أصيل معبر عن واقعية المكان المحلى وزمانه "قديماً" أو "حديثاً" ولذلك فهو أبرع من عبر عن ريف وحوارى وطرقات ومنازل ومساجد مصر ذات التاريخ العريق.

والفنان "البرجيني" من القلائل الذين يصممون خطوط الكتابة لعناوين قصصه ومقالاته المرسومة بالإضافة إلى كتابته للنصوص والحوارات المصاحبة للرسوم أو فى داخل بالونات الكلام فى فن الاستربس **Strips**.

ويعد الفنان متخصصاً فى تسجيل ورسم القصص الجذابة الرائعة عن تاريخ مصر، وهى من أجمل ما قدم للصغار والكبار فى مجال الرسوم المتتابعة للقصة، وتفوح منها رائحة الزمن وعطر التاريخ، ورحيق العصور المصرية المميزة بأسلوبه الخاص المتميز عن باقى أساليب الفنانين الآخرين فى ذلك الوقت.

وعلى الرغم من عمر الفنان القصير – نسبيا – (حوالى ١٢ سنة) إلا أن أعماله على صفحات المجلات والكتب تعد تراثاً موثقاً رائعاً ومتفرداً فى أسلوب رسم وإخراج الرسوم المتتابعة للقصة المصرية والعربية بشكل عام.

والآن وبعد عودة الطائر المهاجر إلى عشه الدافئ، وبعد رحلة عمل طويلة وشاقة فى دولة الإمارات العربية، بعد وفاة زوجته ورفيقة كفاحه، عاد محملاً بالأمل والتفاؤل إلى حضن الوطن الأم مصر، التى لم تغب عن عينه وقلبه وعقله لحظة واحدة، بل تغلغلت فى خلاياه، وجرت فى عروقه مجرى الدم.

الآن يحيا بيننا الفنان الكبير "عبد الحليم البرجيني" عاكفاً ومتبرعاً برسم بورتريهات للنقباء الذين تولوا مهمة "نقابة الصحفيين" منذ تأسسها عام ١٩٤١، وحتى الآن لتضع بمبنى النقابة الجديد.

فهو طاقة إبداعية رائعة ومتفجرة، وريشة بديعة رصينة ومنمقة، هبت نسائمها علينا من زمن الفن الجميل فأنعشتنا، تشعر بعبق وأصالة موهبته المتفردة كلما طالعت رسومه من

خلال مجلتى "كاريكاتير" و"قطر الندي" للأطفال، بل تكاد الرسوم تنطق وتحاورك، ولولا البعد المكانى والزمانى لكان له فى مصر شأن أخر، ولكن "البرجيني" ذلك الفنان الذى يحيا بيننا بتواضع جم، ومحبة فياضة واحد من أكبر الرسامين المصريين والعرب، فهو قامة فنية سامقة.

★ نشر فى جريدة القاهرة فى ٢٩ يوليو ٢٠٠٣

obeikandl.com